

أنماط التمايز الاجتماعي والمكاني

من كتاب الفصل الرابع

مدخل الى جغرافية الحضر الاجتماعية

بول نوكس و ستيفن بنج

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

الأسئلة الرئيسية التي يتناولها هذا الفصل

- ما هي الأنماط الرئيسية التي يُظهرها الهيكل العمراني للمدن ؟
- ما هي العمليات الرئيسية التي تُنشئ وتُعيد تشكيل النسيج الحضري ؟
- ما هي الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية الرئيسية لهيكل المدينة وكيف تتجلى جغرافياً ؟
- ما هي الاختلافات الرئيسية في جودة الحياة في المدن ؟

بالتوازي مع تقليد الإقليمية في هذا التخصص ككل ، سعى جغرافيو الحضر الاجتماعيون إلى "أقلمة" المدن والبلدات في محاولات لإنتاج تعميماتٍ رفيعة المستوى حول الشكل والبنية الحضرية . يمكن عد هذه التعميمات بمثابة النقاط لننتاج جدلية المكان الاجتماعية في نقطة زمنية محددة . فهي توفر نماذج مفيدة لتوليد واختبار الفرضيات والنظريات المتعلقة بعمليات النمو الحضري وأنماط التفاعل الاجتماعي في المدن . وبغض النظر عن المنظور، فإن الهدف الأولي هو تحديد المناطق داخل المدن التي تتميز بخصائص مميزة والتي يمكن إثبات تجانسها نسبياً . وكلمة "نسبياً" بالغة الأهمية هنا ، فكما أشار الفصل الثالث ، يجب أن نكون حذرين ، عند تسمية هذه المناطق ، من عدم افتراض أن جميع السكان يشتركون في خصائص متشابهة ، فهناك تنوع واختلاف حتى في أكثر المناطق الحضرية تجانساً . ومع ذلك ، تُظهر المدن أنماطاً مكانية مميزة . في هذا الفصل ، سنحدد الأنماط الأساسية التي تظهر في كل من الأبعاد المادية والاجتماعية والاقتصادية للمدن المعاصرة ، ونصفها من وجهات نظر متنوعة .

مورفولوجيا المدن والبنية المادية

تُعد دراسة الصفات المادية للبيئة الحضرية أحد أقدم فروع الجغرافيا الحضرية ، وخاصة في أوروبا ، حيث احتلت دراسة "مظاهر المدن" و"المناطق المورفولوجية" مكانة بارزة في الدراسات الحضرية ، أنواع المنازل ، وقطع الأراضي المخصصة للبناء ، وتخطيط الشوارع . تعتمد الأنماط المورفولوجية ، إلى حد كبير، على عنصرين أساسيين : حجم وشكل قطع الأراضي ، وتخطيط الشوارع . ويختلف كلاهما باختلاف الفترة التاريخية ، والأوضاع الاقتصادية ، والمثل الاجتماعية والثقافية . فعندما يكون هناك نقص في أراضي البناء ، أو عندما يتعين استيعاب أكبر عدد ممكن من المباني على طول واجهة معينة (مثل الواجهة البحرية أو حول ساحة السوق) ، غالباً ما تنشأ قطع أراضي صغيرة وعميقة . في أماكن أخرى ، يتحدد حجم وشكل قطعة الأرض عادةً بنوع المنزل السائد (على سبيل المثال ، اتسمت مدن إنجلترا وهولندا وساحل شمال ألمانيا تاريخياً بأنواع منازل صغيرة وعقلانية تتطلب قطع أراضي صغيرة ذات واجهة ضيقة (5 أمتار) ؛ بينما

تطلبت مباني المساكن القياسية في القرن التاسع عشر في المدن الأمريكية واجهة بعرض 9 أمتار فقط؛ بينما احتاجت الشقق القياسية إلى واجهة بعرض 32 مترًا).

يشير مصطلح "التشكل" إلى العمليات التي تنشئ وتعيد تشكيل النسيج المادي للشكل الحضري . بمرور الوقت ، تتغير مورفولوجية المناطق الحضرية ، ليس فقط بإضافة نسيج حضري جديد ، بل أيضًا بتعديل النسيج الحالي . تُصبح الأشكال الأساسية ، التي تتكون من أنواع المنازل وقطع الأراضي والشوارع في فترة زمنية معينة ، مُهجنة مع استبدال المباني القديمة بالمباني الجديدة ، ودمج قطع الأراضي أو تقسيمها ، وتعديل تخطيطات الشوارع . تخضع كل مرحلة لاحقة من النمو الحضري لتأثير قوى اجتماعية واقتصادية وثقافية مختلفة ، في حين أن نمو كل مدينة هو عملية مزدوجة من التوسع الخارجي وإعادة التنظيم الداخلي . تُضيف كل مرحلة نسيجًا جديدًا على شكل تراكمات واستبدالات . عادةً ما تُنتج عملية التوسع الخارجي أنماط تراكم حلقية كما هو موضح في الشكل 4.1.

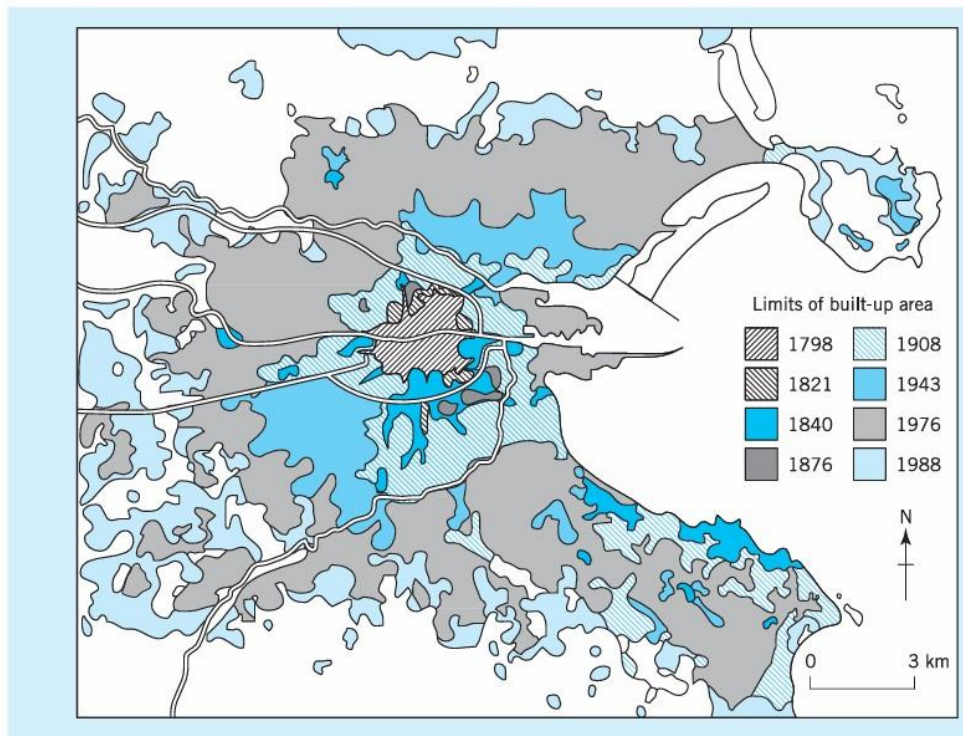


Figure 4.1 Growth phases in Dublin.

Source: After MacLaran (1993), Fig. 2.9, p. 42.

يوضح الشكل 4.2 عملية إعادة التنظيم ، والذي يُظهر التغييرات التي طرأت على جزء من ليفربول نتيجةً لاستخدامات الأراضي المؤسسية (بما في ذلك الجامعة ، والكاتدرائية الكاثوليكية الرومانية ، والمستشفيات والعيادات) تسَلَّت إلى نمط شوارع القرن التاسع عشر، مستبدلةً بذلك الشوارع السكنية ذات الحبيبات الدقيقة بنسيج أكثر خشونة من الأبراج والكتل الخرسانية . تخضع أقدم المناطق الداخلية في المدينة بشكل خاص لإعادة تنظيم داخلي ، مما يؤدي إلى نشوء عنصر مورفولوجي مميز، يحتوي على مزيج من الوظائف السكنية والتجارية والصناعية ، غالبًا داخل هياكل متدهورة ماديًا . تُسهم المصانع والورش الصغيرة مساهمة مهمة في أجواء هذه المناطق . قد تكون بعض هذه المصانع متبقية ، بعد أن قاومت الميل الطارد للانتقال إلى مواقع جديدة ، لكن غالبيتها "غزة" استعمروا مواقع أخلاها صناعات أو سكان سابقون . عادةً

ما تشغل هذه المصانع عقارات قديمة أصبحت متاحة في الشوارع الجانبية المتفرعة من شوارع التسوق في المنطقة السكنية المزدهمة ولكن المتدهورة المحيطة بمنطقة الأعمال المركزية .

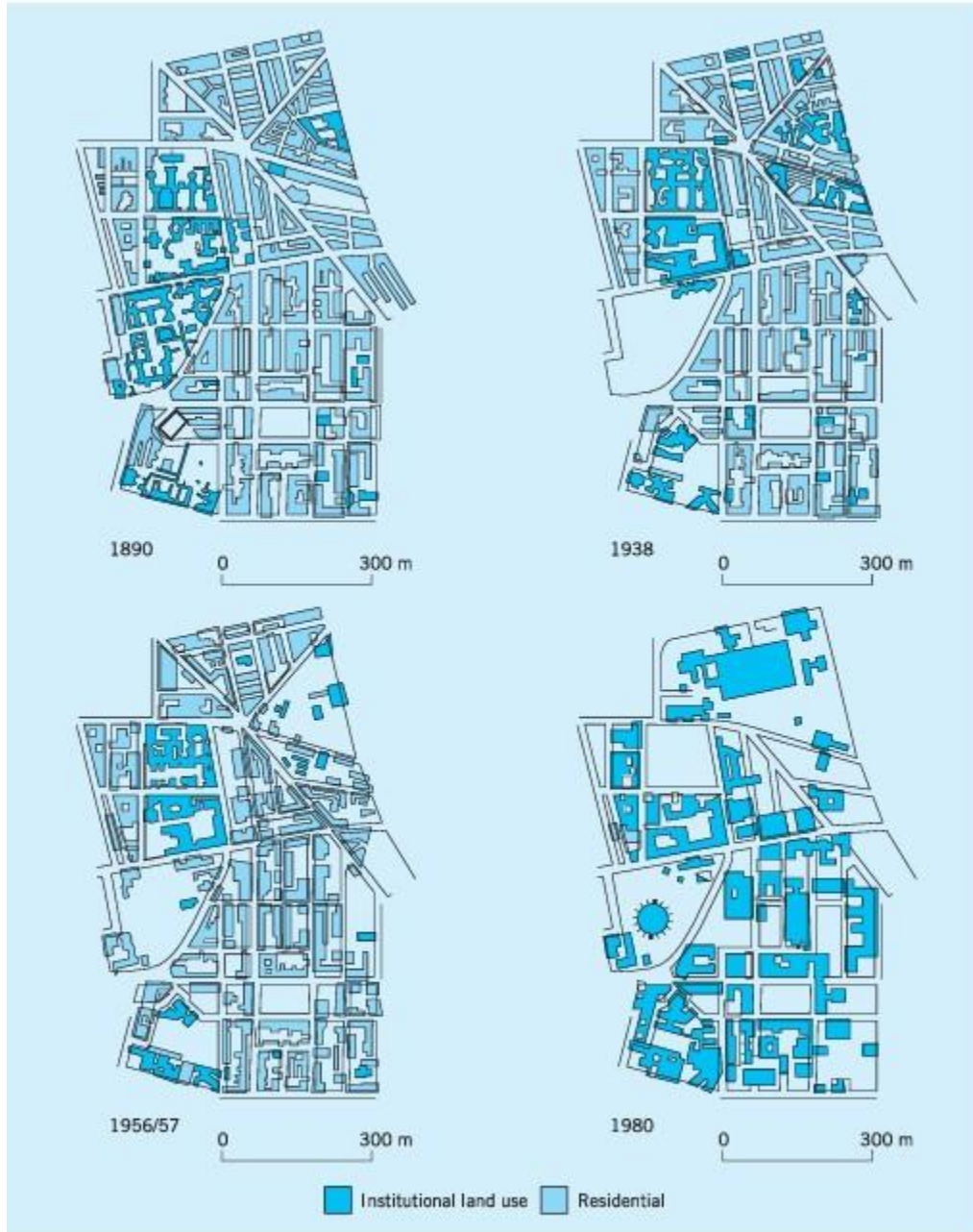


Figure 4.2 Morphological reorganization of the university district in Liverpool, 1890–1980.

Source: After Chandler et al. (1993), Fig. 5.3, p. 112.

خارج هذه المنطقة الداخلية ، تميل العناصر المورفولوجية الصناعية والتجارية والسكنية إلى التمايز بوضوح ، على الرغم من أنها عادةً ما تكون مرتبة في تقسيم غير مكتمل ، تتخللها شرايين شعاعية للتنمية التجارية والصناعية والطرق الرئيسية وخطوط السكك الحديدية ، ومشوهة بسبب خصائص الموقع . بالإضافة إلى ذلك ، يتميز قدر كبير من التطور الحضري باستمرار جيوب من الوحدات المورفولوجية القديمة (مثل

القلاع والكاتدرائيات وحررم الجامعات والشوارع والحدائق العامة والأراضي المشتركة ، والتي تميل جميعها إلى مقاومة منطق قوى السوق ، وبالتالي تبقى كسمات أثرية وسط الأحياء حديثة التطوير أو المعاد تطويرها) . تميل هذه الوحدات القديمة إلى إضعاف النمط المتماثل الذي قد يظهر لولا ذلك . حتى في المناطق السكنية الضواحي الجديدة والمتجانسة نسبيًا ، يمكن أن يحدث قدر كبير من إعادة التنظيم المورفولوجي . يوضح الشكل 4.3 مدى إعادة التنظيم المورفولوجي (بين منتصف خمسينيات وأواخر ثمانينيات القرن الماضي) في مواقع عينة مأخوذة من كل من الأطراف الداخلية والخارجية لأحياء الضواحي في مدن جنوب شرق إنجلترا.

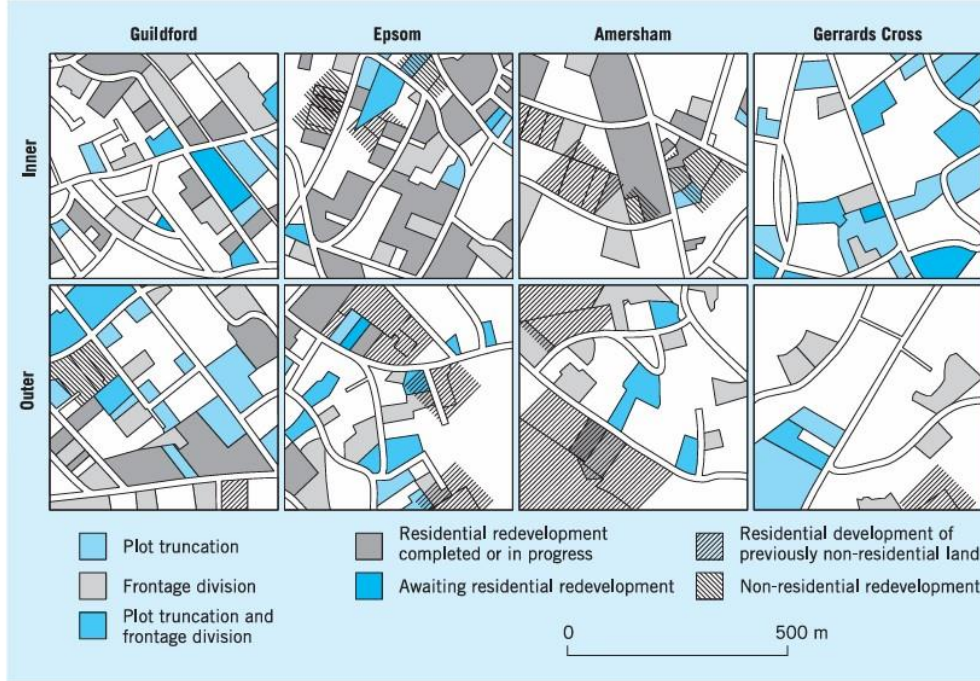


Figure 4.3 Plot subdivision and redevelopment in low-density residential areas in sample towns in south-east England, circa 1955–1986.

Source: After Whitehand (1992), Fig. 4.4, p. 141.

في هذه الحالة ، نتجت إعادة التنظيم عن ضغوط من أجل تنمية سكنية أكثر كثافة ، والتي نشأت بسبب مزيج من انخفاض متوسط حجم الأسر وزيادة عدد السكان وفرص العمل والدخل في جنوب شرق إنجلترا . والنتيجة ، التي تنعكس في جميع مواقع العينة الموضحة في الشكل 4.3 ، هي درجة كبيرة من تقسيم قطع الأراضي (بتر قطع الأراضي الزاوية ، أو تقسيم قطع الأراضي الأصلية ، أو كليهما) وإعادة التطوير (بما في ذلك التطوير السكني للأراضي غير السكنية سابقًا) . تمثل هذه الأنماط بُعدًا مهمًا للتغيير - إعادة التطوير والتجديد التدريجي - وهو أمر أساسي في جدلية المكان الاجتماعية للضواحي القديمة للمدن في جميع أنحاء العالم المتقدم . تُعدّ جدلية المكان الاجتماعية جانبًا مهمًا من جوانب التشكل . فعلى مدى الزمن الأوسع ، يندرج التشكل في سياق التطور المستمر لمعايير وجماليات القوة والمساحة والتصميم .

لا تقتصر الابتكارات المتتالية في التصميم الحضري (الجدول 4.1) على امتداد المشهد العمراني في شكل توسعات وعمليات إعادة تنظيم ، بل ترمز أيضًا إلى قيم ومواقف معينة يمكن استحضارها أو التلاعب بها من خلال عمليات إحياء أو تعديل لاحقة . في هذا السياق ، تكتسب الابتكارات في تكنولوجيا النقل أهمية خاصة ، لأنها لا تُسهم فقط في تطوير معايير وجماليات القوة والمساحة والتصميم (كما هو الحال في تطوير التقسيمات الفرعية القائمة على الطرق المسدودة والحلقية استجابةً لتداخل السيارات) ، بل تُمارس أيضًا تأثيرًا

مباشراً على البنية المادية العامة للمناطق الحضرية . الابتكارات الرئيسية في تكنولوجيا النقل (السكك الحديدية ، الترام ، النقل السريع ، السيارات ، تُحدث المركبات (مثل المركبات والحافلات) ثورة في البنية الهيكلية الحيوية تسمح بتغييرات جذرية في إمكانية الوصول النسبية .

Time	Innovation	Location
1100–1500	Medieval irregular towns	Middle Europe
1200–1400	Medieval regular towns	France, south-west Germany, Baltic Sea, east of Elbe
1500–1700	Renaissance town concepts	Italy, France, Germany, USA
1600–1900	Baroque town concepts	Rome, Paris
1800–1830	Classical grid/block reverting to Renaissance principles	Krefeld, Prussia
1800–1880	Geometric town design	Middle Europe
1850–1900	Hausmann: axis concept, circus, triangle, boulevard, point de vue	Paris
1857	Ring concept	Vienna, Cologne
1889–1930	Sitte, Henrici, Unwin: artistic movement	Austria, Germany, UK
1898–1903	Howard, Parker and Unwin: Garden city	Letchworth
1902–1970	Garden city movement	Worldwide
1900–1930	Modern blocks	Netherlands, Germany
1920–1930	Corbusier, Taut, May, Gropius: Rationalism and 'Neues Bauen'	France, Germany
1930–1945	Fascist neoclassicism	Italy, Germany
1945–1975	Flowing space and free	
1975 to date	Reurbanization: reverting to block systems	Europe
1975 to date	Postmodernism	Worldwide
1985 to date	Deconstructivism	Western world

Source: Curdes (1993), Table 14.2, p. 287.

والنتيجة هي نمط من التطور العمراني هو نتاج صور متعاقبة من أحدث الإصدارات . وقد تم تحديد هذه العصور في المدن الأمريكية (الشكل 4.4) على النحو الآتي :

➤ عصر ما قبل السكك الحديدية (قبل عام 1830) وعصر "الحصان الحديدي" (1830-1870)؛

➤ عصر الترام (1870-1920)؛

➤ عصر السيارات والهواء والنفط الرخيص (1920-1970) وعصر الدفع النفث الإلكتروني (1970 -)

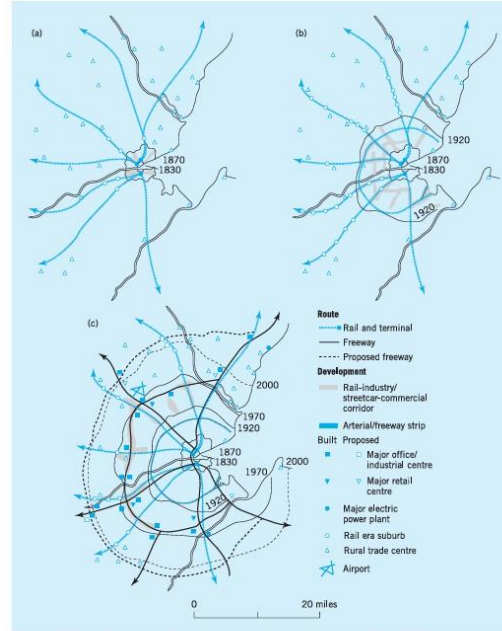


Figure 4.4 Schematic maps of development patterns and age rings in a 'generic' high-order metropolitan area: (a) to 1870; (b) 1870–1920; (c) 1970–. Source: After Borchert (1991), Fig. 12.21.

جودة البيئة

البنية التحتية ذات الأبعاد المحددة التي تستفيد من دراسة خاصة من شخص ما هو التنوع البيئي في جودة البيئة . يُستشف من الأقسام الاتية إلى أن التوجهات الهيكلية المختلفة لا تُبنى فقط بمستويات متفاوتة من الجودة والجماليات ، بل إن ما سيتنوع مادياً في أي لحظة ، بينما تتجه نحو بعضها البعض للتجديد والتحديث . ولأنها مرتبطة بعلاقتها الاستثمارية بجدلية المكان الاجتماعية من خلال بداية وسحب الاستثمارات (الفصل 6) والفصل الاجتماعي (الفصل 8)، فإن الأسباب النوعية للبنية التحتية تميل إلى إظهار درجة كبيرة من الدعوه المكانية . خذ ، على سبيل المثال ، أسلوب التطوير والتخفيض المادي في النمساوي (الشكل 4.5)، حيث يتناقض مع نسيج العوامل الخارجية وتعديل العديد من التعديلات الداخلية التي تعود إلى القرن التاسع عشر، وفي العديد من المناطق .

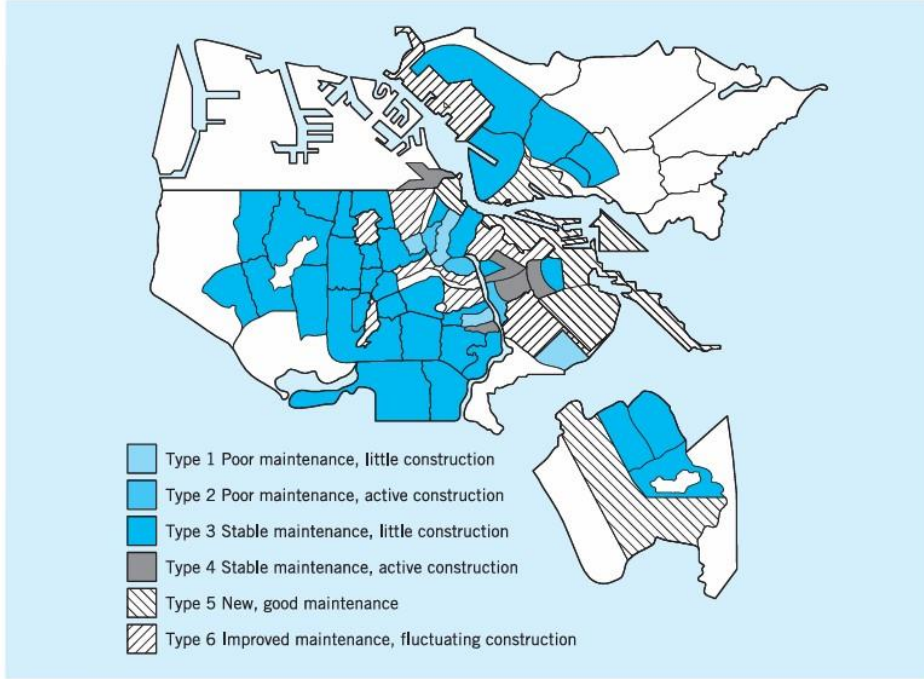


Figure 4.5 Physical upgrading and downgrading in Amsterdam.
Source: After Musterd (1991), Fig. 5, p. 37.

الأحياء الواقعة على طول القنوات ، حيث يسود السكن الخاص . في هذا المثال ، يكون نطاق التدهور محدوداً للغاية ، إذ يقتصر على أربع مناطق فرعية صغيرة مجاورة لمنشآت صناعية قديمة . ومع ذلك ، في بعض المدن والمناطق الحضرية ، يُمثل التدهور المادي والسكن دون المستوى المطلوب مشكلة خطيرة . يوضح الشكل 4.6 مدى انتشار السكن دون المستوى المطلوب في القطاع الشمالي الشرقي من باريس الداخلية ؛ بينما يوضح الشكل 4.7 التأثير المحلي للغاية للتدهور الحضري في مدينة نيويورك ، حيث فقدت بعض المناطق الفرعية في أجزاء من برونكس (الشكل 4.7 ب) ما بين 50 و 80% من وحداتها السكنية المأهولة خلال فترة وجيزة (عشر سنوات) ولكنها مدمرة . تُعد الحالة الفعلية للشوارع والمباني جانباً من جوانب البيئة المبنية التي حظيت باهتمام متزايد من مخططي المدن والجماعات المحلية ، وكذلك من الجغرافيين . مع ذلك ، تجدر الإشارة إلى أنه في حين يمكن قياس بعض جوانب جودة البيئة بموضوعية ، فإن جوانب أخرى ذاتية تماماً . كما أن جودة البيئة مرنة للغاية بالنسبة للدخل . قد لا يكثر ثراءً ، ممن لديهم احتياجات أكثر

إلحاقًا لإشباعها ، بالعديد من جوانب جودة البيئة ؛ بينما قد يكون الأغنياء ، بعد تلبية احتياجاتهم المادية ، حساسين بشكل خاص للعوامل البيئية مثل مظهر المنازل والشوارع والحدائق .

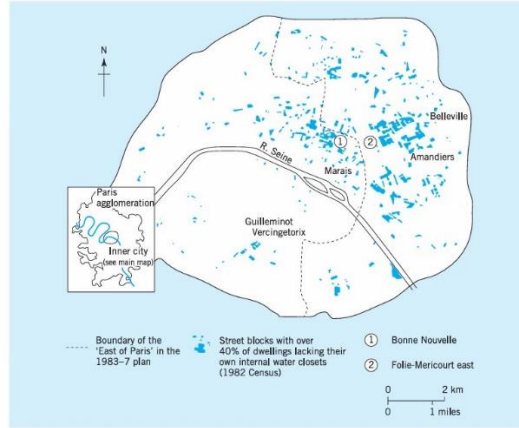


Figure 4.6 Substandard housing in Paris: street blocks with over 40 per cent of dwellings lacking their own WCs.
Source: After White and Winchester (1991), Fig. 1, p. 41.

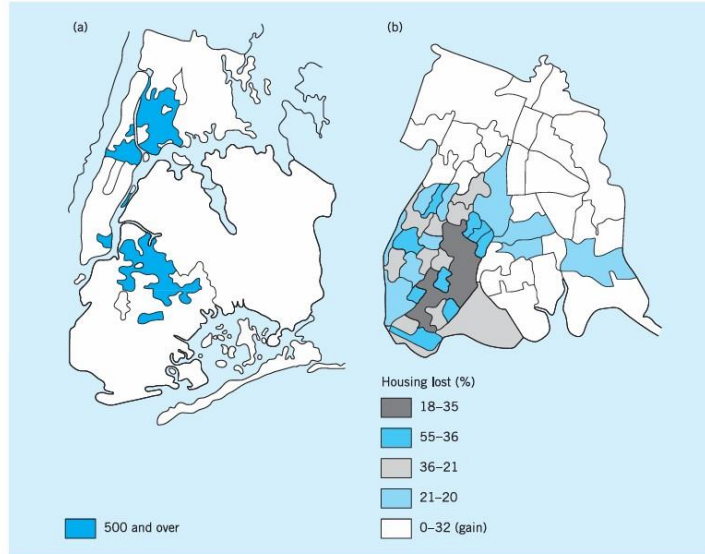


Figure 4.7 Urban decay: (a) census tracts in New York City that each lost 500 or more occupied housing units between 1970 and 1980; (b) percentage loss of occupied housing units in the Bronx, 1970-1980.

Source: Wallace (1989), Fig. 4 (part), p. 1590; Wallace and Fullilove (1991), Fig. 2, p. 1703.

الاختلاف وعدم المساواة : الأنماط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية

كما هو متوقع ، بالنظر إلى التعقيد المتزايد والاستقطاب الاجتماعي للمدن الغربية ، اللذين نوقشا في الفصلين الثاني والثالث ، فإن أحد المواضيع الرئيسية في جغرافية الحضر الاجتماعية هو التمييز المكاني للاختلاف وعدم المساواة . وبالتفصيل ، يمكن أن تُمثل هذه الأنماط مشهدًا متشابهًا من التمييز والتجاور والاستقطاب : في أحد طرفي شارع كانون ، لندن E1 ، يمكنك دفع ؛ جنيتها إسترلينية لوجبة من طبقين . وفي الطرف الآخر ، على بُعد أقل من ٥٠٠ متر ، يمكنك شراء كوكتيل واحد بنفس المبلغ في بار هنري للنبيذ في مركز تسوق عصري ، في مجمع سكني راقٍ . لقد تغير النسيج الحضري هنا ، كما هو الحال في العديد

من المدن الأخرى حول العالم ، بوتيرة سريعة خلال العقد الماضي . يمتد الشارع جنوبًا من قلب تجارة الملابس المستعملة وفوضى صالات عرض الملابس الجاهزة والتجزئة والجملة على الطريق التجاري . أما الطرف الشمالي فهو سكني . يكاد يكون حصرًا من قِبل الجالية البنغالية في واحدة من أفقر أحياء المدن البريطانية .

على بُعد ثلاثمائة ياردة جنوبًا ، يتقاطع الطريق مع شارع كابل ، على بُعد مسافة قصيرة من جدارية تُخلّد ذكرى جالية يهودية مُتمردة تواجه حركة القمصان السود الفاشيين بقيادة موزلي عام ١٩٢٦ ، حيثُ تُوجّه عبارة "لن يمروا" الآن إلى الشرفة المهندمة المجاورة . على بُعد بضعة مئات من الأمتار، يكتمل المشهد المُصغّر ب حوض التبع ، الذي وُصف بأنه "حديقة كوفنت في الطرف الشرقي" ، على الرغم من معاناته الشديدة في فترة الكساد الاقتصادي في أوائل التسعينيات .

لا مفر من فكرة الاستقطاب الاجتماعي

تنتشارك سيارات جولف GTI الشوارع بصعوبة مع سيارات فورد كورتينا المعفاة من الضرائب . الفقر جليّ ، والثراء مُتباهِ . يُضاف إلى ذلك التحديث انخفاض قيمة العقارات القديمة . تُشير نداءات الحصول على المعلومات في ملصقات الشرطة إلى هجوم عنصري آخر، تمامًا كما تُظهر الكتابات الجدارية التي رُيّنت بها الثقة الممنوحة محلّيًا لصلاحيات تحقيق الشرطة. (كيث وكروس، ١٩٩٢، ص ١) وعند النظر إليها من منظور أوسع ، تُظهر أنماط عدم المساواة والتفاوت المكاني انتظامًا معيّنًا غالبًا ما يكون متسقًا من مدينة إلى أخرى .

في المجتمعات القائمة على المنافسة ومكافآت السوق ، يُعدّ الدخل الشخصي على الأرجح المؤشر الأكثر أهمية ، نظرًا لتأثيره على تعليم الناس ومهنتهم وقدرتهم الشرائية (خاصةً فيما يتعلق بالإسكان) ، وقيمهم ومواقفهم تجاه الآخرين . لطالما سلّم بأن جغرافية الدخل داخل المدن لا تتميز فقط بتدرجات حادة وتناقضات مجزأة على المستوى الجزئي ، بل تتميز أيضًا بقطاعات واضحة تهيمن عليها أسر ذات دخل مرتفع وبؤر فقر في المناطق الداخلية من المدن . لننظر، على سبيل المثال ، إلى خريطة الدخول في منطقة توسون الحضرية (الشكل 4.8) ، حيث كان متوسط دخل الأسرة في الضواحي الشمالية الثرية يتراوح بين أربعة وستة أضعاف متوسط دخل الأسرة في مناطق التعداد السكاني الداخلية .

في حين أن التمايز الاجتماعي والاقتصادي يُعدّ بلا شك أهم انقسام داخل المدن المعاصرة ، إلا أنه ليس الوحيد بأي حال من الأحوال . كما أن السمات الديموغرافية ، مثل العمر وبنية الأسرة ، لها أهمية محورية في الحياة الاجتماعية ، إلا أنها لا ترتبط ارتباطًا وثيقًا ، إن وُجدت ، بالاختلافات في الوضع الاجتماعي والاقتصادي . ومع ذلك ، هناك أنماط واضحة للتركيبة الديموغرافية الجغرافية للمدن - ويعود ذلك إلى حد كبير إلى ميل أنواع معينة من الأسر إلى احتلال مواقع محددة داخل النسيج الحضري . وهكذا ، على سبيل المثال ، عادةً ما توجد الأسر التي لديها أطفال في سن ما قبل المدرسة بأعداد كبيرة بشكل غير متناسب في التقسيمات الفرعية الضواحي الطرفية الجديدة والمجمعات السكنية ؛ من ناحية أخرى ، يميل كبار السن عادةً إلى التركز كسكان متبقين في الأحياء السكنية القديمة في وسط المدن . وتندرج الفئات الفرعية المهمشة في المجتمع المعاصر ضمن الإطار الاجتماعي المكاني الذي تحدده الطبقات الرئيسية للمال والتركيبة السكانية.

وفكرة التهميش مفهوم نسبي ، ويعتمد على معيار أو قاعدة مُتصورة. اقترح هيلاري وينشستر وبول وايت (1988) أن هذه المعايير والقواعد يمكن أن تكون اقتصادية واجتماعية و/أو قانونية. وحددا أربع مجموعات من المهمشين اقتصاديًا :

- العاطلون عن العمل، وخاصة العاطلون عن العمل لفترات طويلة؛
- كبار السن الفقراء؛
- الطلاب؛
- الأسر ذات الوالد الوحيد.

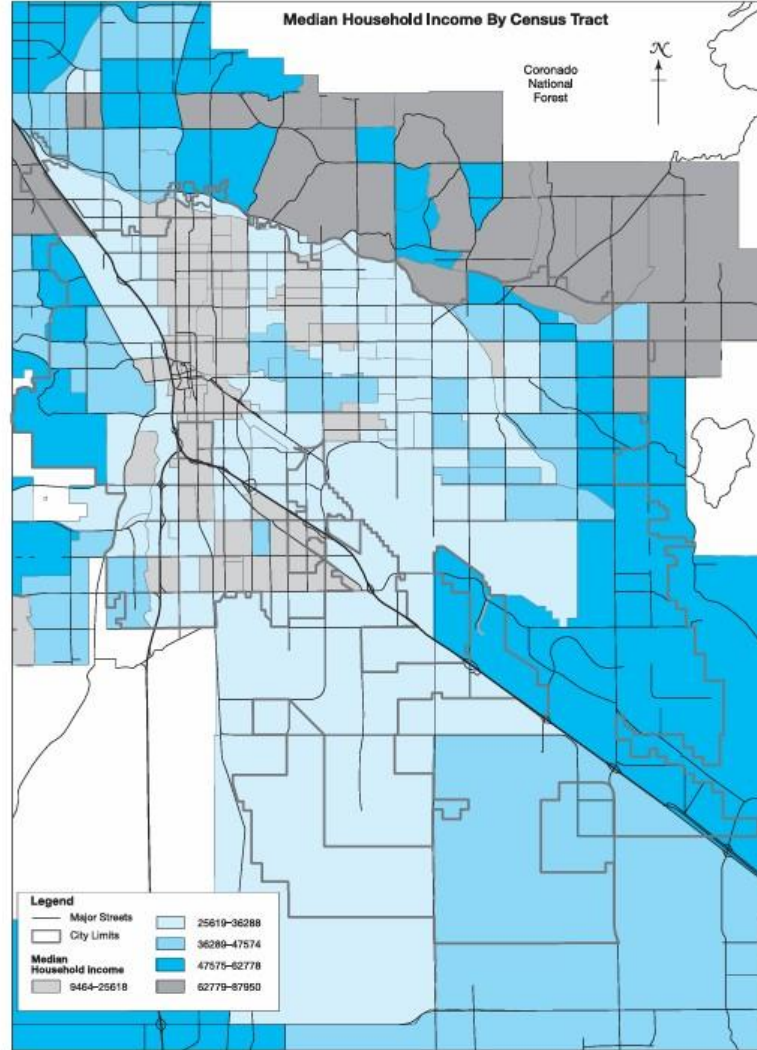


Figure 4.8 Median household income by census tract, Tucson, 2000.
Source: www.tucsonaz.gov/planning/maps/census/data/00inct.ct.pdf

- بالإضافة إلى ذلك ، حددا ثلاث مجموعات أخرى يمكن تصنيفها على أنها مهمشة اقتصاديًا واجتماعيًا ، حيث يعزز البُعدان بعضهما البعض بشكل عام:
- الأقليات العرقية؛
 - اللاجئون؛ و
 - المعاقون (سواءً عقليًا أو جسديًا)، والمصابون بأمراض مزمنة (ولا سيما المصابون بالإيدز).

تتميز الفئات المهمشة المتبقية بعناصر من التهميش القانوني والاقتصادي و/أو الاجتماعي :

➤ المهاجرون غير الشرعيين؛

➤ المعوزون؛

➤ المشاركون في ثقافات المخدرات؛

➤ المجرمون الصغار؛

➤ البغايا؛ و

➤ المثليون جنسياً (ذكوراً وإناثاً).

ليس من المستغرب أن تميل هذه الفئات أيضاً إلى التهميش مكانياً ، سواء من حيث مواقع سكنها أو من حيث مساحات أنشطتها . وبشكل عام ، يُترجم هذا إلى تجمعات مجزأة ومعزولة ومحلية - على الرغم من أن بعض المجموعات الأكبر عدداً ، مثل كبار السن والوحيديين الفقراء ، يميل التكتل إلى أن يكون أقل وضوحاً إلى حد ما . وباستثناء بعض المجرمين والبغايا والمثليين جنسياً ، يتحدد هذا التموضع من خلال تحديد أماكن السكن الأكثر تهميشاً اقتصادياً واجتماعياً : الأحياء القديمة المتبقية في وسط المدينة ، والمساحات المهجورة والمتهاكة ، والإسكان الاجتماعي (العامة) منخفض الدرجة .

إن الدرجة العالية من تموضع الأسر التي تعيلها نساء في مناطق وسط المدينة هي إلى حد كبير نتاج لتركيزهن في مشاريع الإسكان العام في وسط المدينة . في كثير من الحالات ، تُعدّ هذه التجمعات في الواقع مساحات مشتركة لعدة مجموعات فرعية هامشية (المجموعات الفرعية المذكورة أعلاه ليست متنافية بأي حال من الأحوال) ، بحيث يمكن لمناطق فرعية محددة أن تتخذ طابعاً محدداً للغاية - بوهيميا ، غيتو ، حي فقير ، سوق مخدرات - وفقاً لمزيج السكان (ينظر أيضاً المربع 4.2) . هذا ، بالطبع ، يطرح سؤالاً أعم حول كيفية تشكيل المدن وفقاً لسمات أحيائها وتجانسها النسبي . وهو سؤال يُعالج تجريبياً بفعالية أكبر من خلال دراسة علم البيئة العملي .

دراسات علم البيئة العملي

أصبح تحليل العوامل ، إلى جانب مجموعة التقنيات الإحصائية متعددة المتغيرات المرتبطة به والتي تشمل تحليل المكونات الرئيسية ، أحد أكثر التقنيات استخداماً في البحوث الاجتماعية بمختلف أنواعها . وقد استُخدم هذا التحليل بشكل متكرر كأداة استقرائية لتحليل العلاقات بين مجموعة واسعة من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية والإسكانية داخل المدن ، بهدف تحديد الأنماط المشتركة ، إن وجدت ، في البيانات . ولا يشمل هذا الكتاب مناقشة تفاصيل منهجية تحليل العوامل والتقنيات ذات الصلة . يمكن عدها ، في جوهرها ، تقنيات تلخيص أو تركيب قادرة على تحديد مجموعات من المتغيرات ذات أنماط التباين المتشابهة . ويُعبّر عن هذه المتغيرات من خلال متغيرات هجينة تُسمى العوامل أو المكونات . يُمثل كل عامل كميات قابلة للقياس من التباين في بيانات الإدخال ، ومثل يمكن رسم خرائط للمتغيرات "العادية" أو استخدامها كبيانات مدخلة لتحليلات إحصائية أخرى . تُعرف العلاقات والأنماط المكانية التي تصفها العوامل مجتمعةً باسم علم البيئة العملي . يُنتج الإجراء الإحصائي المعتاد سلسلة من المتغيرات الهجينة (العوامل) ، يُمثل كل منها بُعداً رئيسياً من أبعاد التباين المشترك في بيانات ، كل منها مستقل إحصائياً عن الآخر ، ويمثل كل منها على التوالي نسبة أصغر من إجمالي التباين في بيانات الإدخال .

تمثلت النتيجة الرئيسية لدراسات علم البيئة العاملة في أن التمايز السكني في الغالبية العظمى من مدن العالم المتقدم والصناعي قد هيمن عليه بُعد يتعلق بالوضع الاجتماعي والاقتصادي ، مع بُعد ثانٍ يتميز بخصائص الوضع الأسري / دورة الحياة ، وبُعد ثالث يتعلق بالفصل والوضع العرقي . علاوةً على ذلك ، يبدو أن هذه الأبعاد كانت متسقة حتى في مواجهة الاختلافات في متغيرات الإدخال وفي الحل الإحصائي المُستخدم ؛ وتُشير الأدلة من العدد المحدود من دراسات تغير علم البيئة العاملة التي أُجريت إلى أن هذه الأبعاد الرئيسية قد مالت إلى الاستمرار على مدى عقدين أو ثلاثة عقود على الأقل . ويبدو أيضاً أن هناك نمطاً متسقاً في التعبير المكاني لهذه الأبعاد ، سواءً من مدينة إلى أخرى أو من سنة تعداد إلى أخرى . يشير هذا الاتساق إلى أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي ، والوضع العائلي ، والانتماء العرقي ، يمكن عدها أبعاداً رئيسية للفضاء الاجتماعي ، والتي ، عند إضافتها إلى الفضاء المادي للمدينة ، تعمل على عزل مناطق التجانس الاجتماعي "في خلايا تُحددها شبكة القطاعات والمناطق".

ويوضح الشكل 4.9 النموذج المثالي الناتج عن البنية البيئية الحضرية . ومع ذلك ، تجدر الإشارة إلى أن هذه القطاعات والمناطق ليست مجرد فرض على مورفولوجيا المدينة ، بل هي نتيجة تفاعلات تفصيلية معها . فعلى سبيل المثال ، من المرجح أن تُحكم طرق النقل الشعاعية مواقع القطاعات وتُشوه الأنماط المكانية . وبالمثل ، من المرجح أن يتأثر تكوين كل من القطاعات والمناطق بأنماط محددة لاستخدام الأراضي وأنماط النمو الحضري . ومن خلال إدخال هذه السمات إلى النموذج المثالي ، يُمكن توفير تقريب أقرب إلى العالم الحقيقي .

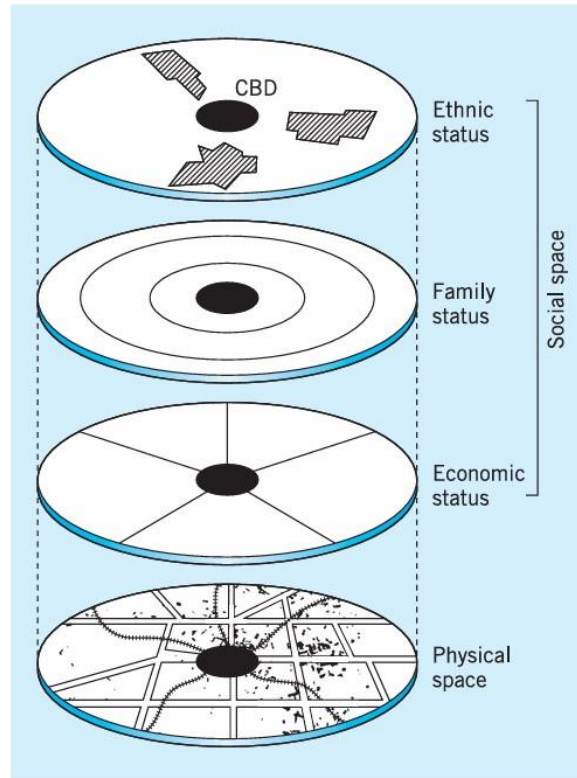


Figure 4.9 Idealized model of urban ecological structure.

Source: Murdie (1969), p. 8.

من المهم التأكيد على أن هذا النموذج الكلاسيكي يُمثل مستوىً عاليًا من التعميم ، وأن نتائج بعض الدراسات غامضة أو حتى متناقضة . ومع ذلك ، فقد أشار العديد من الجغرافيين إلى أن نموذج العوامل الثلاثة الكلاسيكي يتمتع بتعميم كبير في جميع أنحاء منطقة الثقافة الغربية . ويتجلى ذلك بالتأكيد في بيئات العوامل لمدن في كندا وأستراليا ونيوزيلندا ، إلا أن الأدلة المستمدة من دراسات المدن الأوروبية تميل إلى أن تكون أقل وضوحًا . بشكل عام، يميل التمايز السكني في المدن الأوروبية القارية إلى أن يهيمن عليه بُعد الوضع الاجتماعي والاقتصادي ، على الرغم من أنه غالبًا ما يرتبط بحالة السكن وتوطين العاملين لحسابهم الخاص . كما تميل المدن القارية إلى التوافق مع النموذج البيئي "الكلاسيكي" من حيث أن الوضع العائلي يبرز بشكل بارز (وإن كان غالبًا بطريقة معقدة) في بنية العوامل .

ومع ذلك ، لا يظهر العرق عمومًا كُبعد مستقل ، ويرجع ذلك جزئيًا إلى غياب الأقليات العرقية الكبيرة ، وجزئيًا لأن الأقليات الموجودة تبدو أكثر تكاملًا - على مستوى المنطقة التعدادية - مع السكان الأصليين . ومع ذلك ، لا تتوافق المدن البريطانية بشكل وثيق مع النموذج الغربي العام . في الواقع ، تتميز المدن البريطانية ببنية بيئية مميزة إلى حد ما ، حيث يتم تعديل الأبعاد الرئيسية للنموذج الكلاسيكي من خلال سياسات البناء والتأجير المرتبطة بقطاع الإسكان الاجتماعي الكبير نسبيًا . بشكل أعم ، تتلاشى هذه الأنماط في ظل "التمدن المتشردم" المرتبط بتطور الاقتصادات الغربية إلى أساس ما بعد الصناعة ضمن اقتصاد عالمي . ونتيجة لذلك، فإن النموذج الكلاسيكي لعلم البيئة العاملة في طور الإلغاء .

وكما رأينا في الفصول 1 و 2 و 3 ، دخلت مدن العالم المتقدم مرحلة جديدة مع اكتساب التحول الاقتصادي الأساسي زخمًا ، مصحوبًا بتغيرات ديموغرافية وثقافية وسياسية وتكنولوجية . وقد بدأ التقدم في مجال الاتصالات بالفعل في إزالة العديد من الاحتكاكات التقليدية المتعلقة بالمساحة المخصصة للأسر وكذلك للأنشطة الاقتصادية ، مما يفتح المجال أمام إمكانية تفكك المساحات الحضرية التقليدية وظهور مساحات جديدة متنوعة . لا يعني هذا أن التمايز والفصل السكني سيختفيان ، بل سيتجلان بطرق أكثر تعقيدًا وبمستوى دقة أعلى من القطاعات والمناطق والتجمعات التي ارتبطت بالوضع الاجتماعي والاقتصادي والوضع العائلي والعرق .

تشير آثار التغير الاقتصادي والتكنولوجي والديموغرافي والاجتماعي على البنية البيئية إلى أن التعقيد المتزايد للمجتمع من المرجح أن يؤدي إلى أبعاد أكثر للتمايز . من بين هذه الأبعاد ما يأتي :

- ظهور وضع المهاجرين كمصدر قوي للتمايز؛
- تعزيز التمايز العرقي مع وصول مجموعات مهاجرة جديدة؛
- ظهور أبعاد جديدة للتمايز المهني المرتبط بتوسع وظائف الخدمات؛
- ظهور فروق كبيرة في درجة الاعتماد على الرعاية الاجتماعية؛
- زيادة نسبية في أهمية الفقر والإسكان دون المستوى المطلوب نتيجة لترسيخ الطبقة الدنيا الحضرية؛
- زيادة التمايز الاجتماعي المكاني بين الشباب وكبار السن نتيجةً للتغيرات في تنظيم الأسرة؛
- ظهور بيئة اجتماعية مميزة في ضواحي المدن.

في الوقت نفسه ، بدأت الاختلافات طويلة الأمد بين ضواحي المدن ووسطها بالتلاشي بالفعل ، حيث أصبحت الضواحي مركزًا للنشاط الاقتصادي اليومي ، وتم تجديد أجزاء من المدن المركزية أو تطويرها أو تحسينها ، مما جلب بعض السمات الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية "الضواحي" إلى بعض أحياء وسط المدينة .

أنماط الرفاه الاجتماعي

من أبرز عيوب دراسات بيئة العوامل التقليدية أن مزيج متغيرات المدخلات يتجاهل العديد من الجوانب المهمة للحياة الحضرية ، بما في ذلك جودة البيئة ، وإمكانية الوصول إلى مرافق مثل المستشفيات ومراكز التسوق والمكتبات والحدائق ، ومعدلات انتشار الأمراض الاجتماعية المحلية مثل الجريمة والانحراف وإدمان المخدرات . إن الاعتراف بمؤشرات جودة الحياة و"العدالة الإقليمية" كاهتمامات مهمة في الجغرافيا البشرية يعني إيلاء المزيد من الاهتمام لهذه القضايا ، مما يتطلب منظوراً مختلفاً نوعاً ما لأنماط التمايز الاجتماعي والاقتصادي .

يعكس الاهتمام بأنماط الرفاه الاجتماعي عدداً من العوامل . أولاً، هناك تزايد التفاوت الاجتماعي في المجتمعات الغربية الذي أشرنا إليه في الفصل الثاني . ثانياً، في أعقاب التأثير المتزايد للتقاليد الفكرية الأوروبية القارية ، كان هناك تركيز على أفكار الإقصاء الاجتماعي . يُعرّف هذا النهج الفقر ليس فقط من حيث الوصول إلى الموارد المادية ، ولكن أيضاً من حيث قضايا مثل المشاركة الاجتماعية والانتماء . يتجسد هذا النهج في إعادة تعريف مفهوم المواطنة ، الذي تم تناوله في الفصل الخامس . ثالثاً، كان هناك تجدد في الاهتمام بالقضايا البيئية ، لأسباب ليس أقلها آثار الاحتباس الحراري .

وقد شجع هذا البحث على إيجاد مقاييس للأثر البيئي وعوامل أوسع لجودة الحياة ، بالإضافة إلى مقاييس للنمو الاقتصادي . وتوفر المؤشرات الاجتماعية الإقليمية أداة وصفية مفيدة للغاية لوصف جغرافية الرفاه الاجتماعي على مختلف المقاييس المكانية . وهناك ثلاثة أنواع من الدراسات ذات أهمية خاصة هنا : تلك التي تحاول وصف الاختلافات في المستوى العام للرفاهية الاجتماعية المحلية - دراسات "جودة الحياة" ، وتلك التي تحاول تحديد مناطق فرعية معينة يعاني سكانها من حرمان نسبي - دراسات "الحرمان" (ينظر أيضاً الملحق 4.2) ، وتلك التي تحدد المناطق الفرعية من حيث الاستهلاك المادي وأسلوب الحياة .

الاختلافات داخل المناطق الحضرية في جودة الحياة الحضرية

تحظى دراسات جودة الحياة بشعبية كبيرة لأنها تتيح إمكانية تصوير التعبير الاجتماعي الجغرافي الأساسي للمجتمعات الحضرية على نطاق مفاهيمي يتراوح بين "الجيد" و"السيئ" ، مما يوفر مؤشراً فعالاً لتقسيم المدينة إلى مناطق . إلا أن بناء مثل هذا المؤشر يطرح عدداً من الصعوبات . تتمثل المهمة الأولى في وضع تعريف للرفاهية الاجتماعية يمكن ترجمته إلى مقياس إحصائي مركب : وهو أمرٌ أُرهِق علماء الاجتماع كثيراً . إن نطاق العوامل التي قد تؤثر على رفاهية الناس ، سواءً للأفضل أو للأسوأ ، هائل . علاوة على ذلك ، غالباً ما تختلف الآراء حول أهمية العوامل المختلفة بين المجموعات الاجتماعية الجغرافية ؛ والعوامل التي قد تكون مهمة على نطاق جغرافي معين قد تكون غير ذات صلة على الإطلاق على نطاق آخر .

لذا ، فإن أي بحث عن تعريفات قاطعة أو عالمية للرفاهية الاجتماعية هو بحثٌ عقيم . يعتمد تطبيق مفهوم جودة الحياة عادةً على مقاييس الاعتماد على الرعاية الاجتماعية ، وتلوث الهواء ، والمرافق الترفيهية ، وجرائم المخدرات ، واستقرار الأسرة ، والمشاركة العامة في الشؤون المحلية - وهو تناقض واضح مع الطيف التقليدي للمتغيرات المستخدمة في دراسات علم البيئة العاملة . ومع ذلك ، فإن إحدى نقاط الضعف الرئيسية المحتملة لهذا النوع من النهج هي مشكلة ترجيح المتغيرات وفقاً لأهميتها النسبية للأشخاص الذين تُدرس رفاهتهم .

يتضح من المسوحات الاجتماعية ، على سبيل المثال ، أن البريطانيين والأمريكيين لا يعدون ظروف السكن بنفس أهمية صحتهم لرفاههم ، في حين يُنظر إلى كلا العاملين على أنهما أكثر أهمية بكثير من إمكانية الوصول إلى المرافق الترفيهية . علاوة على ذلك ، تميل هذه القيم إلى التباين بشكل كبير بين المجموعات

الاجتماعية الجغرافية : ففي بريطانيا ، على سبيل المثال ، أصبحت الاختلافات داخل المدن في المواقف تجاه التعليم جزءاً من الحكمة التقليدية لجيل كامل من التربويين . وهناك العديد من الأسباب وراء هذه الاختلافات . بادئ ذي بدء ، تتسم بعض جوانب الرفاهية الاجتماعية (مثل أوقات الفراغ والاستهلاك المادي) بمرونة دخلية عالية ، بحيث تؤدي الزيادات المتتالية في الدخل المتاح للإنفاق إلى زيادات ملحوظة في شدة تقديرها . يتوافق هذا تمامًا مع اقتراح ماسلو الشهير (1970) بأن الدافع البشري مرتبط بتسلسل هرمي للاحتياجات الإنسانية ، بحيث عندما تُلبى احتياجات الناس الأساسية - من تغذية ومأوى وسلامة شخصية - يتجه الدافع نحو أهداف أسمى مثل تحقيق المكانة الاجتماعية والهبة والتعبير عن الذات .

ويترتب على ذلك أن الأشخاص ذوي مستويات الرفاهية المادية المنخفضة سيولون أهمية أكبر للجوانب المادية من الجوانب الجمالية أو الروحية أو الثقافية للحياة . كما تختلف قيم الناس وفقاً لمرحلة حياتهم الأسرية ، وانتماءاتهم الدينية أو الثقافية . علاوة على ذلك ، من المرجح أن تولد الجغرافيا الاجتماعية للمدينة نفسها أو تُعزز اختلافات في القيم من حي لآخر ، إذ إن التركيبة الاجتماعية والديموغرافية للأحياء المختلفة تُنشئ مجموعات مرجعية محلية مميزة تُسهم بشكل كبير في مواقف الناس من الحياة (ينظر الفصل 7).

جغرافية الحرمان

تُمثل أنماط الحرمان جانباً بالغ الأهمية من الجغرافيا الاجتماعية للمدينة . في هذا السياق ، من المفيد عد الحرمان متعدد الأبعاد (ومن هنا جاء مصطلح الحرمان المتعدد) ، مع توجيه الانتباه إلى التكوين المكاني والعلاقات المتبادلة بين جوانب الحرمان المختلفة . يسود اتجاه في العديد من المدن نحو التوزيع التراكمي للحرمان ، حيث تميل الأحياء ذات الوضع المتدني إلى تحقيق أداءٍ سيئ في معظم أبعاد الحرمان والازدهار . في هذا السياق ، يبدو من العدل تجميع المؤشرات لإنتاج مؤشر واحد لـ "الحرمان المتعدد". يُقدم الشكل 4.10 مثالاً جيداً على هذا النهج ، حيث يُظهر أسوأ 1% و 5% من مناطق التعداد في غلاسكو عام 2001، بناءً على مقياس مُركَّب للحرمان مُستمد من تحليل المكونات الرئيسية لعشرة مؤشرات تعداد للحرمان ، تشمل الوصول إلى وسائل النقل ، والرعاية الصحية ، وحيازة السكن ، وتركيبية الأسرة ، والاكتظاظ السكاني ، والوضع الاجتماعي ، والبطالة .

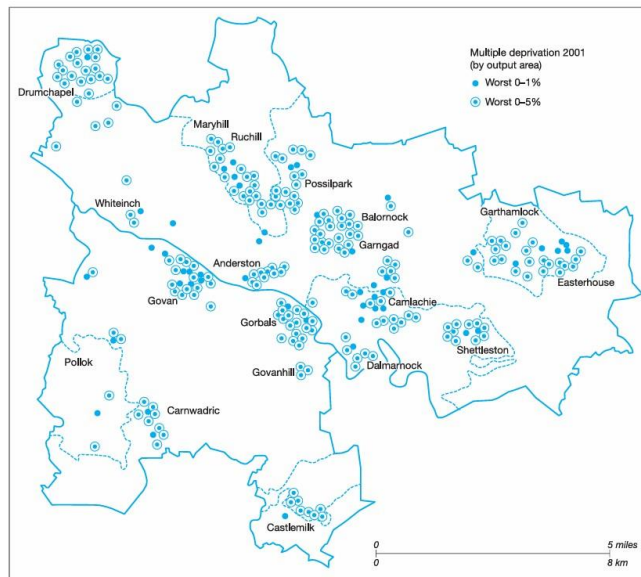


Figure 4.10 Social deprivation in Glasgow, 2001.
Source: After Pacione (2004).

في غلاسكو ، تنتشر جيوب الحرمان في جميع أنحاء المدينة ، ليس فقط في المناطق المركزية القديمة من المساكن الخاصة ، بل أيضاً ، وبشكل رئيسي ، في بعض المجمعات السكنية العامة الأحدث والهامشية . ومع ذلك ، يمكن انتقاد هذا النوع من النهج لأسباب عديدة ، منها استصواب تجميع مؤشرات جوانب مختلفة من الحرمان ، وصلاحيّة إعطائها وزناً متساوياً في المؤشر العام (تذكر مناقشة مؤشرات جودة الحياة) . من الضروري أيضاً الحذر من مخاطر المغالطة البيئية (أي استخلاص استنتاجات حول الأفراد بناءً على بيانات تستند إلى مجموعات من الأشخاص) . وبالتالي ، ليس كل من يعيش في منطقة محرومة محروماً بالضرورة ، وليس كل شخص محروم في منطقة "حرمان متعدد" محروماً بالضرورة.

أعاق غياب المعلومات المفصلة جغرافياً حول القضايا المتعلقة بدخل الأسرة و ثروتها والضرائب واستحقاقات الرعاية الاجتماعية تطوير المؤشرات الاجتماعية الإقليمية لسنوات . ففي المملكة المتحدة ، على سبيل المثال ، لا تُنشر سوى معلومات قليلة عن الدخل دون مستوى المناطق الكبيرة نسبياً . وبالتالي ، فإن معظم تحليلات البيانات المتعلقة بالدخل قد أجراها خبراء اقتصاديون ، وهم نادراً ما يُعنى الباحثون بالآثار الجغرافية لدراساتهم . ومع ذلك ، في السنوات الأخيرة ، تم التغلب على هذا المأزق من خلال تقنيات المحاكاة الدقيقة التي تستفيد من التطورات الحديثة في نظم المعلومات الجغرافية .(GIS) تُمكن هذه التقنيات من محاكاة تقديرات البيانات للمناطق الصغيرة بناءً على بيانات مفصلة منشورة على نطاقات مكانية أكبر.

على سبيل المثال، توجد في المملكة المتحدة ثروة من البيانات المعقدة المتعلقة بالأسر في عينة السجلات مجهولة المصدر .(SARS) تُظهر هذه البيانات العلاقات المتبادلة بين العديد من المتغيرات (المعروفة باسم الجداول المتقاطعة) ؛ ولكن للحفاظ على السرية ، تُنشر هذه المعلومات فقط على نطاقات مكانية كبيرة . ومع ذلك ، يمكن لبعض التقنيات الإحصائية (البرمجة الخطية والملائمة التناسبية التكرارية) محاكاة العلاقات المتبادلة بين المتغيرات للمناطق الصغيرة مثل مناطق التعداد . علاوة على ذلك ، تُسهّل هذه التقنيات ربط البيانات من عدد من مصادر البيانات المختلفة على نطاقات مكانية صغيرة جديدة . العيب الرئيسي لهذه الأساليب هو صعوبة التحقق من صحة مجموعات البيانات المنشأة حديثاً . هناك حلان لهذه المشكلة : أولاً، إجراء بعض العمل الميداني المفصّل للمناطق الصغيرة لمقارنة النتائج مع عمليات المحاكاة الدقيقة ؛ أو ثانياً ، معرفة كيفية عمل عمليات المحاكاة من خلال إعادة تجميع البيانات الجديدة إلى مقاييس مكانية تتوفر عنها معلومات مُفصّلة .

تُتيح المحاكاة الدقيقة إمكانية إعادة تقييم وجهات نظرنا بشأن السياسات الحضرية القائمة على المناطق (أي السياسات الحضرية التي تستهدف مناطق مُحددة ذات احتياجات عالية في المدن). وقد جادل إدواردز (1995، ص 710) بأن هذه السياسات تجميلية إلى حد كبير، لأن : الجزء الأكبر من الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية لسكان المناطق الداخلية من المدن لن يُلبى من خلال سياسات حضرية مُحددة ، بل من خلال توفير الإسكان والرعاية الصحية ودعم الدخل والتعليم . ومع ذلك ، لا نعرف سوى القليل عن فعالية هذه البرامج ، سواءً في استهداف المحرومين ، مكانياً أو غير مكاني ، أو في تلبية الاحتياجات المتعددة (أحياناً) أو الاحتياجات الإضافية المختلفة التي قد توجد داخل الأسر المعيشية الفردية . (إدواردز، 1995، ص 711) وقد بدأ بعض العمل لسد هذه الفجوة في معرفتنا . على سبيل المثال، وضع معهد السياسة الجديدة ومؤسسة جوزيف رونتري مجموعة من مؤشرات الحرمان تستند إلى فقر الأسر و ثروتها وإقصائها الاجتماعي (هوارث وآخرون، 1998) . بالإضافة إلى ذلك ، كلف مكتب نائب رئيس الوزراء في المملكة المتحدة (ODPM) بوضع مقياس شامل للحرمان المتعدد ، يُمكن من تحديد مقياس الحرمان للمناطق الصغيرة (الأحياء)

في إنجلترا (ينظر الجدول 4.2). وعلى الرغم من تأثيره الكبير، فقد تعرض هذا المؤشر المعقد لانتقادات، ليس فقط بسبب طبيعة البيانات، ولكن أيضاً بسبب طرق دمجها. بدأ محللو المناطق الحضرية بتطوير مؤشرات مماثلة للمناطق الصغيرة داخل المدن. وهكذا، طور براملي ولانكستر (1998) نموذجاً يُؤد بيانات الدخل للمناطق الصغيرة بناءً على عدد العاملين في الأسرة، ومعدلات النشاط الاقتصادي، وملكية الأسرة. كما استخدم كالدويل وآخرون (1998) تقنيات المحاكاة الدقيقة في سياق الولايات المتحدة لإظهار جغرافية الثروة، مع مراعاة عوامل مثل الأصول المالية والديون.

Table 4.2 The UK Office of the Deputy Prime Minister's Index of Multiple Deprivation 2004

Income Deprivation Domain (22.5% weighting) - Adults and children in Income Support households (2001) - Adults and children in income-based job-seekers households (2001) - Adults and children in Working Families Tax Credit households whose equivalized income (excluding housing benefits) is below 60% of median before housing costs (2001) - Adults and children in Disabled Person's Tax Credit households whose equivalized income (excluding housing benefits) is below 60% of median before housing costs (2001) - National Asylum Support Services asylum seekers in England in receipt of subsistence only and accommodation support (2002)
Employment Deprivation Domain (22.5% weighting) - Unemployment claimant count of women aged 18–59 and men aged 18–64 (2001) - Incapacity benefit claimants women aged 18–59 and men aged 18–64 (2001) - Participants in the New Deal for the 18–24s who are not included in the claimant count (2001) - Participants in the New Deal for 25+ who are not included in the claimant count (2001) - Participants in the New Deal for Lone Parents aged 18 and over (2001)
Health Deprivation and Disability Domain (13.5% weighting) - Years of potential life lost (1997–2001) - Comparative illness and disability ratio (2001) - Measures of emergency admissions to hospital (1999–2002) - Adults under 60 suffering from mood or anxiety disorders (1997–2002)
Education Skills and Training Deprivation Domain (13.5% weighting) <i>Subdomain: children/young people</i> - Average point score of children at Key Stage 2 (2002) - Average point score of children at Key Stage 3 (2002) - Average point score of children at Key Stage 4 (2002) - Proportion of young children not staying on in school or school-level education above 16 (2001) - Proportion of those aged under 21 not entering higher education (1999–2002) - Secondary school absence rate (2001–2002) <i>Subdomain: skills</i> - Proportions of working-age adults (aged 25–54) in the area with no or low qualifications (2001)
Barriers to Housing and Services Domain (9.3% weighting) <i>Subdomain: wider barriers</i> - Household overcrowding (2001) - LA percentage receiving assistance for homelessness - Difficulty of access to owner occupation <i>Subdomain: geographical barriers</i> - Road distance to GP premises (2003) - Road distance to a supermarket or convenience store (2002) - Road distance to a primary school (2001–2002) - Road distance to a post office (2003)
Crime Domain (9.3% weighting) - Burglary (4 recorded crime offence types, April 2002 to March 2003) - Theft (5 recorded crime offence levels, April 2002 to March 2003) - Criminal damage (10 recorded crime offence levels, April 2002 to March 2003) - Violence (10 recorded crime offence levels, April 2002 to March 2003)
The Living Environment Deprivation Domain (9.3% weighting) <i>Subdomain: the 'indoors' living environment</i> - Social and private housing in poor condition (2001) - Houses without central heating (2001) <i>Subdomain: the 'outdoors' living environment</i> - Air quality (2001) - Road traffic accidents involving injury to pedestrians and cyclists (2000–2002)

Source: http://www.odpm.gov.uk/stellent/groups/odpm_urban_policy/documents/page/odpm

أنماط الحياة

أدى التمدن المتشردم، الذي يُميّز المدن المعاصرة، إلى ظهور بيئة فسيفسائية من أنماط الحياة، والتي كانت جميعها موضع اهتمام مباشر من قبل باحثي سوق الشركات. على سبيل المثال، قامت شركة Euro RSCG، خامس أكبر وكالة إعلانات في العالم ومروجة لمصطلح "الموضة الحضرية"، بتقسيم الأمهات الأمريكيات الراقيات إلى فئات إعلانية "رائجة" الاتية: "سيدات المنازل" (اللاتي يوظفن مربيات لتربية

أطفال مثاليين ، وخادمت منزليات للحفاظ على جمال منازلهن) ، و"أمهات بوميرانج" (اللاتي عملن عندما كان أطفالهن صغاراً وتركن العمل عندما بلغوا سن المراهقة) ، و"أمهات رائعات" (اللاتي يحافظن على جمالهن في صالة الألعاب الرياضية) ، و"أمهات صغيرات" (اللاتي يُعد أطفالهن إكسسوارات أزياء). يحدد نظام التسويق Claritas PRIZM®NE التابع لشركة Nielsen 14 فئة اجتماعية مختلفة مقسمة إلى 66 شريحة نمط حياة (مثل "الشباب الرقميين" و"البوهيميين المختلطين" و"العالميين" من المجموعة الاجتماعية "الحضرية الراقية") والتي يمكن رسم خرائط لها على مستوى مناطق الرمز البريدي.

استناداً إلى أبحاث السوق المكثفة وتحليل كميات هائلة من البيانات الاجتماعية والاقتصادية ، تم تحديد التوزيع المكاني . تُعد الأنماط المحددة من خلال هذه التصنيفات، بلا شك، أكثر الصور شمولاً لجغرافية الحضر الاجتماعية المعاصرة . ومن أكثر المناهج تطوراً في دراسة سلوك المستهلك تلك التي طورتها شركة (SRIC-BI) SRI Consulting Business Intelligence ، والتي تُقدم تصنيفاً للمستهلكين قائماً على أبحاث السوق حول قيمهم وأولوياتهم . في هذا النظام ، يُصنف المستهلكون وفقاً لثلاثة أنواع من الدوافع الأساسية : المُثل العليا ، والإنجاز ، والتعبير عن الذات . يميل المستهلكون الذين يُحفزهم المُثل العليا في المقام الأول إلى الاسترشاد بالمعلومات والمبادئ في قراراتهم الشرائية . أما المستهلكون الذين يُحفزهم الإنجاز في المقام الأول ، فيبحثون عن المنتجات التي تُظهر النجاح لأقرانهم . أما المستهلكون الذين يُحفزهم التعبير عن الذات في المقام الأول ، فلديهم أنماط إنفاق مُوجهة نحو النشاط الاجتماعي أو البدني ، والتنوع ، والإثارة .

ويمكن أيضاً ، بالطبع ، تمييز المستهلكين من حيث مواردهم . من الواضح أن الدخل والثروة مهمان ، لكن تصنيف SRIC-BI VALStm يأخذ أيضاً في الحسبان موارد الأفراد من حيث الصحة والثقة بالنفس والطاقة والوعي بالأفكار والمنتجات والأساليب الحالية . مع أخذ هذه الموارد في الحسبان ، ينقسم المستهلكون الذين تستند دوافعهم الأساسية إلى المُثل العليا إلى فئتين : "المؤمنون" ، الذين لديهم موارد أقل ، و"المفكرون" ، الذين لديهم موارد أكثر . وبالمثل ، يتكون المستهلكون الذين يكون دافعهم الأساسي هو التعبير عن الذات من "الصانعين" (موارد أقل) و"المجربين" (موارد أكثر) . يتكون المستهلكون الذين يكون دافعهم الأساسي هو الإنجاز من "الساعي" (موارد أقل) و"المحققين" (موارد أكثر) .

يتم تعريف فئتين مميزتين أخريين بشكل أساسي من حيث مواردهما : "المبتكرون" ، الذين لديهم موارد وفيرة وقادرون على إشباع جميع الدوافع الأساسية الثلاثة بدرجات متفاوتة ؛ و"الناجون" ، بـموارد شحيحة للغاية ، مما يضطرهم للتركيز على تلبية الاحتياجات بدلاً من إشباع الرغبات ، وهم غير قادرين على التعبير عن دافع أساسي قوي من خلال أنماط استهلاكهم . من حيث الثقافة المادية للجغرافيات الحضر الاجتماعية المعاصرة ، يُعدّ المبتكرون والمنجزون من أكثر الشرائح إثارة للاهتمام . يميل المبتكرون إلى أن يكونوا متعلمين تعليماً جيداً ، واثقين من أنفسهم ، ومنفتحين على الابتكار ، وحيويين . ويميلون إلى خوض تجارب حياتية أكثر إيجابية (ترقيات ، زيادات في الرواتب ، إلخ) من الفئات الأخرى ، وعندما يفعلون ذلك ، غالباً ما يكافئون أنفسهم بشكل من أشكال الاستهلاك .

تعكس أنماط استهلاكهم أدواً مُمكّنة للمنتجات والخدمات الراقية والمتخصصة . أما المبتكرون والمنجزون فهم مستهلكون متطورون للغاية للمكان ، ويميلون إلى امتلاك منازل تُعبّر بوضوح عن أنفسهم وأنماط حياتهم (بشكل أساسي : "لديّ منزل كبير/ أكبر/ أفضل تجهيزاً/ أكثر روعة/ أكثر فخامة") . لكن بالنسبة للمستهلكين الأغنياء بالموارد ، والناجحين ، والنشطين ، والطموحين ، فإن المنزل هو مجرد البداية . يجب أن يكون أيضاً واجهة لعرض "الأشياء" المناسبة : الأثاث ، والممتلكات ، والمعدات اللازمة لتجسيد نمط حياتهم المفضل وصورتهم الذاتية . يتمتع الناجحون أيضاً بمستويات عالية نسبياً من الموارد ، لكنهم يتميزون في المقام الأول بنزعتهم المحافظة والتركيز على المكانة الاجتماعية ، والهيكل ، والاستقرار ،

والقدرة على التنبؤ . كمستهلكين، يفضلون المنازل ، والأحياء السكنية ، والمنتجات ، والخدمات التي تُظهر نجاحهم لأقرانهم . يتميز الناجحون بميلهم إلى التقليد ، حيث يقومون بعمليات شراء مماثلة لأراء الآخرين الذين يقدر آراءهم أو أولئك الذين يرغبون في تقليدهم .

يشكل المبتكرون والمنجزون معًا ما يقرب من 25% من السكان البالغين في الولايات المتحدة . يمثل المبتكرون واحدًا من كل عشرة من السكان البالغين . ومع ذلك ، فهم موزعون بشكل غير متساوٍ عبر المناطق الحضرية . في منطقة واشنطن العاصمة الحضرية ، على سبيل المثال ، تعكس التركيزات العالية للمبتكرين جغرافية اجتماعية مميزة ، حيث تهيمن على مقاطعة فيرفاكس (فيرجينيا) ، إلى جانب جزء كبير من مقاطعة مونتغمري (ماريلاند) ومقاطعة لودون (فيرجينيا) (الشكل 4.11) . يتمركز الناجحون وفق نمط متشابه إلى حد كبير، ولكنه أكثر لامركزية (الشكل 4.12) . تشكل تركيزات المبدعين أكثر من 50% من السكان البالغين في بعض مناطق الرمز البريدي ، حيث تصل إلى حوالي 58% في كينيلورث (مقاطعة كوك، إلينوي) ، وغلين إيكو (مقاطعة مونتغمري، ماريلاند)، و واين (مقاطعة ميدلسكس، ماساتشوستس). أما الناجحون فهم أقل تركيزًا إلى حد ما ، حيث تتراوح أعلى مستوياتهم على مقياس الرموز البريدية بين 30 و 35%.

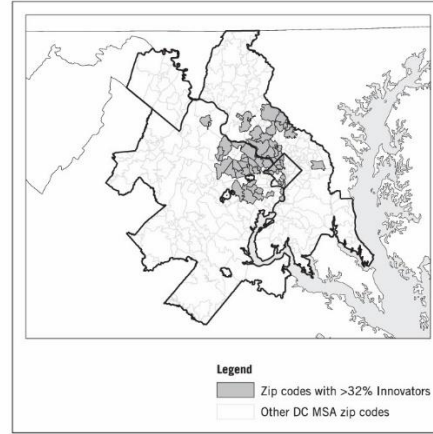


Figure 4.11 Distribution of zip code areas with a high incidence of Innovators (top quintile), Washington, DC, Metropolitan Statistical Area.

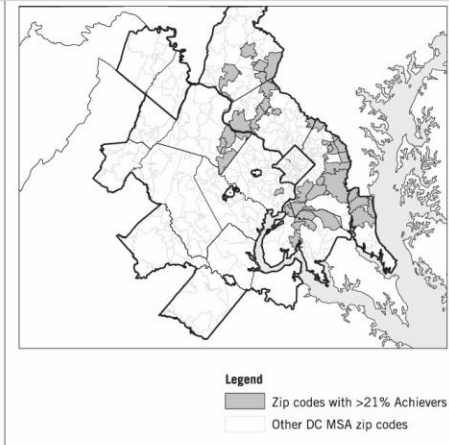


Figure 4.12 Distribution of ZIP Code areas with a high incidence of Achievers (top quintile), Washington, DC, Metropolitan Statistical Area.
Source: Knox (2009), Fig. 3, p. 42.

ملحق 1

الاتجاهات الرئيسية في الجغرافيا الاجتماعية الحضرية - نمو التجمعات الطلابية

من الاتجاهات المهمة في العديد من مدن المملكة المتحدة في السنوات الأخيرة ، والتي لم تُجرَ عليها أبحاث كافية حتى الآن ، تطور المناطق السكنية التي يهيمن عليها الشباب (أي الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و24 عامًا) . هناك أدلة متزايدة على أن التوزيع الجغرافي لهذه الفئات العمرية أصبح أكثر تركيزًا في المدن البريطانية . ويعكس هذا التطور، إلى حد كبير، النسبة المتزايدة من الأشخاص الذين يلتحقون بالتعليم العالي في المملكة المتحدة . فعلى عكس العديد من الدول ، تنتقل نسبة كبيرة من طلاب المملكة المتحدة من منازل آبائهم بعيدًا عن مناطقهم المباشرة إلى الجامعات والكليات في بلدات ومدن أخرى .

وتؤدي هذه الهجرة إلى طلب على السكن لا يمكن تلبيته من خلال العقارات الجامعية المخصصة لذلك ، وبالتالي ينتقل حوالي ثلاثة أرباع الطلاب إلى القطاع الخاص المستأجر. تميل هذه العقارات إلى التركيز بشكل كبير في المناطق الداخلية للمدن ، على الرغم من أنها قد تكون أحيانًا أحياءً ميسورة نسبيًا مجاورة للجامعات (مثل هيدنغلي، إحدى ضواحي شمال غرب ليدز) . لهذه الأنماط عدد من العواقب المهمة . أبرزها صراع أنماط الحياة بين كبار السن والطلاب الزائرين . يمكن أن تؤدي الحفلات الليلية والموسيقى الصاخبة والسلوكيات الصاخبة إلى علاقات سيئة وهجرة كبار السن . في الواقع ، كما هو الحال مع بعض الأقليات العرقية ، أحيانًا تصل نسبة الطلاب إلى مستوى لا يقتصر على تكثيف هجرة السكان المقيمين ، بل يُمنع أيضًا الأسر غير الطلابية من الانتقال إلى هذه المناطق .

ومن الآثار الأخرى تطوير أحياء المدينة التي تلبي احتياجات الطلاب من خلال الحانات والنوادي والمطاعم والمراقص والبارات . قد تلبي هذه المناطق احتياجات جميع الشباب في المدينة ، على الرغم من أن العداء بين الطلاب والسكان الشباب الأصليين قد يؤدي أحيانًا إلى مناطق مخصصة للطلاب فقط . وفوق كل ذلك ، يدّعي البعض أن تدفق الطلاب الذين يشغلون وظائف بدوام جزئي منخفضة الأجر لتمويل تعليمهم العالي قد يُضعف فرص عمل السكان المحليين أو يُخفض مستويات الأجور الإجمالية في الاقتصاد .

هناك إدراك متزايد للتأثير الهائل الذي يُمكن أن يُحدثه التعليم العالي على الاقتصادات الحضرية . غالبًا ما تكون الجامعات والكليات جهات توظيف رئيسية ، حيث تضخ مبالغ طائلة في الاقتصادات المحلية من خلال شراء الخدمات المحلية وزيادة القدرة الشرائية لرواتب الموظفين . بالإضافة إلى ذلك ، يُمكن للجامعات أن تُحفز التنمية الاقتصادية المحلية من خلال استغلال الأصول العلمية والتكنولوجية في شكل شركات فرعية جديدة . بشكل عام ، يبدو أن المرافق الفكرية والثقافية التي توفرها الجامعات تُشكّل بيئة جاذبة للفئات الموهوبة و"المبدعة" من السكان ، والتي يبدو أنها تكتسب أهمية متزايدة في ضمان النمو الاقتصادي المحلي . وتشير الأدلة الواردة من المملكة المتحدة عام 2008 إلى أن أسعار المساكن في المدن الجامعية ليست أعلى من المتوسط فحسب ، بل إنها أيضًا أقل عرضة لانخفاض الأسعار نتيجةً لازمة الائتمان .

ملحق 2

هل أصبحت المدن الغربية مستقطبة اجتماعيًا ؟

يدور نقاش رئيسي في الدراسات الحضرية حول تغير الهياكل الطبقة والمهنية في المدن الغربية. ومن أكثر القضايا إثارة للجدل مسألة ما إذا كانت هذه المدن تزداد استقطابًا . وتجادل ما يسمى بـ "نظرية الاستقطاب" بأن تراجع المهن الصناعية ذات الأجور الجيدة نسبيًا منذ عام ١٩٨٠، إلى جانب التوسع السريع في وظائف قطاع الخدمات منخفضة وعالي الأجر ، يؤدي إلى تراجع الدخل المتوسط . وبعبارة أخرى ، يتجه الهيكل الاجتماعي للمجتمعات الغربية نحو هيكل "الساعة الرملية" . وقد رُغم أن هذا الاتجاه نحو "تلاشي الطبقة الوسطى" يتجلى بوضوح في المدن "العالمية" (فريدمان وولف، 1982) أو "العالمية" (ساسين، 1991) بخدماتها التجارية والمالية رفيعة المستوى ، والتي تميل إلى أن تكون مجزية بشكل خاص لكبار الموظفين . إن الاستهلاك المفرط لمجموعات النخبة الحضرية الجديدة ، إلى جانب تنامي الفقر المدقع في شوارع المدن الكبرى في شكل "صفوف من الفقراء" ، يجعل فرضية الاستقطاب هذه تبدو جذابة بديهيًا ومتوافقة مع المنطق السليم . ومع ذلك ، فإن إثبات حدوث استقطاب اجتماعي يثير مشاكل مفاهيمية وصعوبات منهجية (ينظر بينش، 1993، وهامنيت، 2003، لمزيد من التفاصيل). على سبيل المثال ، لا تعني فرضية الاستقطاب ببساطة أن الأغنياء يزدادون ثراءً والفقراء يزدادون فقرًا . بل تشير إلى النسب في الهيكل الوظيفي . لذلك ، من الممكن أن يؤدي الاستقطاب إلى زيادة عدم المساواة في الدخل، ولكنه قد يعني أيضًا أنه على الرغم من وجود عدد أكبر من الفقراء ، إلا أنهم يحققون نتائج أفضل نسبيًا مقارنة بالماضي .

علاوة على ذلك ، هناك فرضيتان أخريان تعارضان نظرية الاستقطاب . تجادل إحدهما بوجود إعادة تأهيل مهني تصاعدي في الغرب (فرضية الاحتراف) ، والأخرى بوجود تراجع تدريجي في المهارات (فرضية البروليتاريا) . بالنظر إلى الأدلة ككل ، يبدو أن هناك القليل من الشك في أن توسع قطاعات الخدمات المالية والتجارية ، وتخفيضات الضرائب للأثرياء ، وتراجع وظائف التصنيع ذات الأجور الجيدة نسبيًا ، وتراجع دولة الرفاهية ، قد أدت مجتمعةً إلى تزايد عدم المساواة في الدخل في المدن الغربية . تتطور هذه العمليات بشكل أكبر في المدن الأمريكية ، حيث شجعت القوى العاملة المهاجرة الأكبر حجمًا وتشريعات التوظيف الأقل تقييدًا على التوسع السريع في وظائف قطاع الخدمات منخفضة الأجر .

في أوروبا ، أدت القوى العاملة المهاجرة الأصغر نسبيًا ، وتشريعات العمل الأكثر تقييدًا ، ودول الرعاية الاجتماعية الأقوى (وإن كانت مهددة) ، إلى انخفاض التفاوت ، ولكن إلى ارتفاع كبير في البطالة . ومع ذلك ، هناك أيضًا نمط عام من التحول التصاعدي في الهياكل المهنية في المدن الغربية . وقد أبرزت أزمة الائتمان بشكل واضح العديد من القضايا المتعلقة بالاستقطاب الاجتماعي والمساواة . فمن ناحية ، من المؤكد أن الركود سيؤدي إلى زيادة العوز الاقتصادي والفقر والمعاناة ، مع تزايد حالات إفلاس الأفراد والشركات ، والبطالة ، واستعادة المساكن (حجز الرهن العقاري) . ومع ذلك ، فإن النفور الشعبي الواسع النطاق من المكافآت المفرطة الممنوحة للبعض في القطاع المالي ، إلى جانب الوعي المتزايد بالطبيعة غير الوظيفية اقتصاديًا لهياكل الأجور المحفزة التي شجعت على المخاطرة المالية المفرطة ، قد يؤدي إلى زيادة تنظيم القطاع المالي ، وفرض قيود على الأجور، وتقليص بعض العمليات التي أدت إلى تفاوتات إجمالية في الدخل في السنوات الأخيرة .